وبعض رفاقه لزيارته، وطلب منه أن يستوصي بـــه وبرفـــاقه اللاجئين لدى الأعراش، وجـــاء في رسالته بعد كلمات المدح والتبجيل: "سيدنا ومولانا أمير المؤمنين، سيدنا محمد الباشا [باي][1]، السلام عليك ورحمة الله وبركاته، من المسلم عليك خديمك الشيخ بـــن الناصر بن المرحوم بن شهرة وبعد، يا سيدنا وصلنا طابعك السعيد؛ وأمنك المديم علينا؛ وعلى جميع رعيتك؛ وقبلناه ورفعناه فوق [رؤوسنا][2]، وها نحن نزلنا ببلاد توزر، وبعثت أخي السيد النعيم ومن معه لحضرتك [زائرين][3] المقام الأسعد ونحن مهاجرين، [استوصي][4] بنا[خيرا][5] جميع الرعايا [التونسيون][6] كأعراس الهمامة وغيرهم لأبنا [خارجون][7]من بلادنا في طاعة الله ورسوله، ولا يخصنا في بلادنا حرمة إلا من أجل الدين..."[8].

من خلال هذه الرسالة يتبين لنا أن سبب هجرة ابن ناصر بن شهرة إلى تونس لم يكن إلا من أجل الاستعداد لمواصلة الجهاد في سبيل تحرير الجزائر من السيطرة الاستعمارية، وبالتالي عدم الخضوع للكافر المحتل، كما يبدو أنّ بن ناصر كان يطمع في كسب دعم باي تونس الذي يصفه بأمير المؤمنين في قضية تحرير الجزائر.

وطّد ابن ناصر بن شهرة علاقاته بكثير من اللاّجئين الجزائريين، وأخذ من هناك يشنّ الغارات على أعوان الاستدمار الفرنسي داخل الحدود الجزائرية، وكان ذلك يتم في غالب الأحيان بمشاركة ثوار ولاجئين آخرين، وعلى وجه الخصوص محمد بن علاّق اليعقوبي[9].

نتيجة لتزايد العمليات التي كان يقوم بها الثوار انطلاقا من الجنوب التونسي، وجّـــه الباي محمد الصادق، حاكم تونس رسالة إلى وزيره خزندار يطلب منه فيها العمل على اعتقال بن ناصر بن شهرة ومحمد بن بوعلاق ووضع حد لنشاطهما، ومما جاء في رسالته بعد التحية والسلام: "فإنّه تقرّر لدينا ما صدر من محمد بن بوعلاق اليعقوبي ومن [ابن ناصر][10] بن شهرة من الغارات التي أوجبت مضرّة الوطن الذي هم فيه الآن، فرأينا أن نأمر [بني][11] زيد بالتمكن عليهما، وعلى من انضمّ إليهما من [مؤيديهما][12] لإيقاف هذا الضرر، وحسم مادة هرجهما وصدر أمرنا بذلك، وهو الواصل لوزارتكم السامية، وتضمن مادة ما ذكر، وأن من مدّ يده منهم للمذكورين الإذن في ضربه..."[13].وقد كتبت هذه الرسالة في 15ربيع الثاني 1276هـ الموافق لمنتصف نوفمبر 1859م.

نلاحظ من خلال هذه الرسالة أنّ نشاط بن ناصر بن شهرة ومؤيده كان كبيرا إلى درجة جعلت باي تونس يتخوّف على بلاده، خاصة وأن تونس في هذه الفترة لم تكن تملك القوة التي

وانطلق مصالة بن حبوس على رأس حملة في ذي الحجة منن سنة 304هـ/918م إلى نكور[33] – خاضرة قبائل صنهاجة– من أجل تأديب آل سعيد بن صالح لأنهم تطاولوا على السلطة الفاطمية، وأساءوا الرد على كتاب المهدي الذي تضمن دعوتهم إلى الاعتراف بالسيادة الفاطمية [34]، ولكن بالرغم من الانتصارات التي حققتها قوات مصالة بن حبوس في المغربين الأوسط والأقصى، فإن حركات مغراوة المضادة لم تتوقف مما دفع مصالة بتعبئة حملة لمهاجمة زناتة وتأديب زعيمها، واختلف كل من "ابن خلدون" و"ابن عذارى" في تحديد تاريخ ومكان انطلاق هجومه عليها، فيحددها الأول سنة 309هـ/921- 922م، ويقول بأنه انطلق من سجلماسة، أما الثاني فيقول بأن مصالة بعد أن استولى على سجلماسة انطلق إلى المهدية في سنة 315هـ/922م، فبقى بها عدة أيام ثم عاد إلى تيهرت، وفي سنة 312هـ/924-925م خرج منها إلى زناتة فقتل وسبى، وحين علم محمد بن خزر بذلك قصده، ودارت بينهما معركة فقتل فيها مصّالة بن حبوس، وانهزمت قواته [34].

وبعد سنتين زحف محمد بن خزر إلى تيهرت محاربا، غير أن المهدي أخرج موسى بن محمد الكتامى في أثره في جماعة من القواد، فقفل محمد بن خزر إلى الصحراء منهزما،غير أنه أبقى أخاه عبد الله بوادي مطامطة [35]، فدارت بينه وبين جند الفاطميين حربا كان الانتصار فيها لصلح عناصر محمد بن خزر، كما أورد ابن حماد[36] أن محمد خزر أوقع بعسكر كتامة، وكان قوادها أبو عروس واسحاق بن خليفة، ومما سبق يتضح أن المؤرخين يختلفان فيما ذكراه، فالأول[37]، يتحدث عن حملة واحدة على رأسها قائدان[38]، إلا أنهما يتفقان على أن أحدهما كنيته أبو عروس[39]، ويذكر الآخر أن اسمه "موسى بن محمد الكتامى"[40]، ومن ثم فلا يستبعد أن يكونا قد قصدا شخصا واحدا اسمه الكامل "أبو عروس موسى بن محمد الكتامى"، لكنه من الصعب على الباحث أن يحكم رأيه فيما إذا كان الشخصان قائدين لجيش واحد أو لجيشين، وكان النصر في النهاية لمحمد بن خزر كما هو واضح عند "ابن حامد"[41]، الذي يتفق مع "ابن خلدون"[42] على أن المهدي أخرج حملة يقودها ابنه القاسم إلى تيهرت سنة 315هـ/927م-928م.

ويظهر أن موت مصالة بن حبوس، ترك فراغا سياسيا في الجناح الغربي من الدولة الفاطمية، الأمر الذي دفع المهدي بأن يعين على تيهرت أخو مصالة، يصل بن حبوس[43] كعرفان لما قدمه مصالة للسلطان الفاطمي عامة وولاية تيهرت خاصة فقد استمر اشرافه عليها ثلاثة عشر